

التقوى الاقتصادية



قال الإمام الصادق (ع): "ثلاث مَن كن فيه زوجه ا□ من الحور العين كيف شاء: .. ورجل أشرف على مال حرام فتركه □ عزَّ وجلَّ".

وقيل لرسول ا□ (ص): يا رسول ا□ مَن المؤمن؟.. فقال: "المؤمن مَن إذا أصبح نظر إلى رغيفه من أين يكتسبه؟".

وإذا كان بعض الناس الذين يضيق بهم العيش يتبرمون من ذلك وينطلقون في تجميع المال من حلال أو حرام.. وينسون ا□ وتقواه.. فإنَّ الرسول الأكرم ينبههم إلى عكس ذلك، إذ قد يكون الضيق من بعض الذنوب فد"إنَّ المؤمن لينوي الذنب فيُحرم رزقه" كما يقول الإمام الصادق (ع).

وإنَّ الحل يكون في التوبة والاستغفار ولذلك يدعوهم.. "اكثرُوا الاستغفار فإنَّه يجلب الرزق".

وذلك إشارة إلى الآية الكريمة التي تربط بين الاستغفار والبركات:

(فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبِّيَ كُفُّوا عَنْ ذُنُوبِكُمْ إِنَّ زُنُوبَكُمْ كَانَتْ عَفْوَارًا * يُرْسِلُ السَّمَاءَ عِلَاقًا كُفُّوا عَنْ ذُنُوبِكُمْ * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَأَبْنَاءٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَاحًا وَيَجْعَلْ لَكُمْ أُنْهُارًا) (نوح/ 10-12).

طلب الدنيا نوعان:

- قال رسول الله ﷺ: "مَنْ طلب من الدنيا حلالاً مكاثراً مفاخراً لقي الله وهو عليه غضبان، وَمَنْ طلبها استعفاً عن المسألة وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر".
"مَنْ بات كالأب من طلب الحلال بات مغفوراً له".

وكان رسول الله ﷺ (ص) إذا نظر إلى الرجل فأعجبه، قال: "هل له حرفة؟" .. فإن قالوا: لا.. قال: "سقط من عيني، قيل: وكيف ذاك يا رسول الله ﷺ قال: لأنَّ المؤمن إذا لم يكن له حرفة يعيش بدينه".

وقال نقلاً عن أبي عزة وجل: "مَنْ كَسَبَ مَالاً مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ فَقَرَهُ اللهُ". "مَنْ لَمْ يَبَالِ مِنْ أَيِّ بَابٍ اكْتَسَبَ الدِينَارَ وَالدِّرْهَمَ لَمْ أَبَالِ يَوْمَ الْقِيَامِ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ النَّارِ أُدْخِلْتَهُ". وقال: "مَنْ أَكَلَ مِنْ كَدِّ يَدِهِ حَلَالاً فَتَحَ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ". وقال: "مَنْ أَكَلَ الْحَلَالَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نَوَّرَ اللهُ قَلْبَهُ". وقال أمير المؤمنين (ع): "تَعَرَّضُوا لِلتَّجَارَةِ فَإِنَّ فِيهَا غِنًى لَكُمْ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ وَإِنَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ الْعَبْدَ الْمُحْتَرِفَ الْأَمِينَ".

- من أين؟ .. وفي أين؟

وقال رسول الله ﷺ (ص): "لا تنزل قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن جسده فيما أبلاه، وعن عمره فيما أفناه وعن ماله مما اكتسبه وفيما أنفقه، وعن حينا أهل البيت".

وقال الإمام الباقر (ع): "ليس من نفس إلا وقد فرض الله لها رزقاً حلالاً يأتيها في عافية، وعرض لها بالحرام من وجه آخر.. فإنَّ هي تناولت شيئاً من الحرام قاصها من الحلال الذي فرض لها وعند الله سواهما فضل كثير وهو قوله: (وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنَ الْفَضْلِ) (النساء/ 32)".

وقال رسول الله (ص): "مَنْ اكتسب مالا حراماً لم يقبل الله منه ولا عتقاً ولا حجاجاً ولا اعتماراً، وكتب الله عز وجل له بعدد أجر ذلك أوزاراً وما بقي بعد موته كان زاده إلى النار، ومَنْ قدر عليها فتركها مخافة الله عز وجل دخل في محبته ورحمته ويؤمر به إلى الجنة".

- أجمل في المكتسب:

وقال الإمام أمير المؤمنين (ع) في وصيته للإمام الحسن (ع): "واعلم أنك لن تبلغ أملك ولن تعدو أجلك وأنك في سبيل مَنْ كان قبلك فحفض في الطلب، وأجمل في المكتسب، فإنَّه ربُّ طلب قد جرَّ إلى حرب، فليس كلُّ طالب بمرزوق ولا كلُّ مجمل بمحروم.. واكرم نفسك عن كلِّ دنية وإن سافتك إلى الرغائب فإنَّك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً.. ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً، وما خير خير لا ينال إلا بشراً! ويُسِّر لا ينال إلا بعسر؟.. وإياك أن توجف بك مطايا الطمع فتوردك مناهل الهلكة... فإنَّك مدرك قسمك وأخذ سهمك، وإنَّ اليسير من الله سبحانه، أعظم وأكرم من الكثير من خلقه، وإن كان كلُّ مَنْ منه... وحفظ ما في يديك أحب إليَّ من طلب ما في يدي غيرك، ومرارة اليأس خير من الطلب إلى الناس.. والحرفة مع العفة خير من الغنى مع الجور.. وبئس الطعام الحرام... واعلم يا بني أن الرزق رزقان: رزق تطلبه، ورزق يطلبك فإن أنت لم تأته أتاك".

وقال رسول الله (ص) حول ذكر الله في السوق: "من ذكر الله في السوق مخلصاً عند غفلة الناس وشغلهم بما فيه كتب الله له ألف حسنة ويغفر الله له يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر".

وقال أمير المؤمنين (ع): "اكثرُوا ذكر الله عز وجل إذا دخلتم الأسواق عند اشتغال الناس فإنَّه كفارة للذنوب وزيادة في الحسنات ولا تكتبوا في الغافلين".

- الاستخلاف على المال:

عندما يسلك الإنسان المؤمن منهج اقتصادي عادل ومنصف لا يهدف إلا لسد القوت والاستكفاف عن الناس ولا يلجأ إلى أي أسلوب محرّم لجمع الثروات، لأنَّ الثروة الطائلة في نظرة ممقوتة وتبعده عن الله.. أنَّهُ يعمل قدر طاقته، ولكنه لا يأخذ إلا قدر حاجته.

والفرق بين هذا الشعار الذي يرفعه الإسلام، والشعار الذي يتاجر به الشيوعيون هو أن هؤلاء يرفعونه كشعار تفرضه الدولة على المجتمع المادي الذي لم ولن يستجيب لهم.. ولم ينجحوا حتى الآن

بتطبيقه بسبب المادية الأنانية المستحكمة في نفوس الملحدين والكفار، في الوقت الذي نجح الإسلام في تطبيقه لأنّه يدخل إليه من بوابة قلب المؤمن الذي يدفعه إلى العطاء الكثير.. وأخذ القليل □ وفي سبيل □ ومن أجل نيل الآخرة وبعد أن يزدهد في الدنيا ويحقر في نظره المال..

وإذا كان الإسلام يعطي للمؤمن حرّية العمل الاقتصادي فلأنّه يطمئن أنّّه لن يستخدمها في افتراس حرّيات الآخرين، وإنّّه مهما أوغل في كسب الدنيا، فلن يكسبها من حرام.. ولذلك فلن يصبح مليونيراً على حساب الآخرين، وسوف تقف ثروته، عند سقف محدود هو المستوى العادي جداً أو ما دونه، وذلك بسبب:

أوّلًا- إنّ اكتسابه للمال يقتصر على الطرق المشروعة المنصّفة.

ثانيًا- لأنّه يعتبر ما يحصل عليه من مال أمانة بيده من □ إلى الفقراء والمحتاجين، ولذلك فهو لا يحتفظ بأيّة ثروة هائلة، ولا يمكن أن يتكدس المال لديه.

يقول القرآن الكريم: (آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْزِلُوا مِنْ مِمَّا جَعَلَكُمُ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْزَلْنَا لَهُمْ أَنْجُومًا كَدِيرًا) (الحديد / 7).

ويقول الإمام الصادق (ع): "المال مال □ عزّ وجلّ جعله ودائع عند خلقه وأمرهم أن يأكلوا منه قصداً ويشربوا منه قصداً ويلبسوا منه قصداً وينكحوا منه قصداً ويركبوا منه قصداً ويعودوا بما سوى ذلك على فقراء المؤمنين، فمن تعدى ذلك كان ما أكله منه حراماً وما شرب منه حراماً وما لبسه منه حراماً وما نكحه منه حراماً وما ركب منه حراماً".

- الملك □:

ويقول (ع):

"حقيقة العبودية ثلاثة أشياء:

1- أن لا يرى العبد لنفسه فيما خوله □ مُلكاً، لأنّ العبيد لا يكون لهم مُلك، يرون المال

مال اﻻ يضعونه حيث أمرهم اﻻ به.

2- ولا يدبر العبد لنفسه تدبيراً.

3- وجملة اشتغاله فيما أمره تعالى به ونهاه عنه.

فإذا لم يرَ العبد لنفسه فيما خوله اﻻ تعالى ملكاً، هان عليه الإنفاق فيما أمره اﻻ تعالى أن ينفق فيه، وإذا فوض العبد تدبير نفسه على مدبره هان عليه مصائب الدنيا، وإذا اشتغل العبد بما أمره اﻻ ونهاه، لا يتفرغ منهما إلى المراء والمباهاة مع الناس فإذا أكرم اﻻ العبد بهذه الثلاثة هان عليه الدنيا وإبليس والخلق، ولا يطلب الدنيا تكاثراً وتفخراً، ولا يطلب ما عند الناس عزاً ولا علواً، ولا يدع أيامه باطلاً فهذا أوّل درجة التقى، قال اﻻ تبارك وتعالى: (تِلْكَ الدَّرَجَاتُ الَّتِي كَسَبُوا فَالَّذِينَ لَمْ يَرْغَبُوا عَنْهَا لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُمْ فِي الْمَقَامَاتِ كَوَافٍ) (الأنعام/ 83).

المصدر: كتاب الإيمان يتجلى في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية